

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسولنا الكريم محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فإن التاريخ الإسلامى عبر مسيرته الطويلة التى تمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرنا مليئا بالعديد من الغزوات والمعارك التى خاضها جند الإسلام والتى حققت بعضا منها نتائج ايجابية والبعض الآخر كانت له نتائج سلبية على حركة التاريخ الإسلامى ولما كان التاريخ هو ذاكرة الأمة فإن لكل أمة من الأمم ذاكرتها التى تعى أحداثها عبر الأجيال المتعاقبة وصلا للماضى بالحاضر ونظرة للمستقبل . ولما كانت بعض الشعوب تصاب بفقدان الذاكرة وتفقد الصلة بماضيها وتاريخها ولا تنظر إلى الماضى لكى تتلافى أخطاء الحاضر . فإن الشعوب الأوروبية بما تملك من الذاكرة القوية فإنها فى نهاية القرن العشرين تعيد إلى الأذهان أحداثا تاريخية حدثت منذ ثلاثة عشر قرنا (١٣٠٠ عام) وتحاول أن تضع أمام أجيالها المعاصرة رؤية مستقبلية للقرن الحادى والعشرين تخوفا من أن تتكرر صورة تلك المعركة التى هي محور دراستنا فى هذه الصفحات القلائل وهى معركة بلاط الشهداء كما أطلقت عليها المصادر العربية ، أو كما تسميها المصادر الأوروبية معركة بواتيه Poitiers فإن أوروبا تصرح كل اسبوع أو اسبوعين بعقد مؤتمرات وندوات ودراسات وكتابات عن خطر الإسلام على أوروبا فى القرن الحادى والعشرين وأن بواتيه أخرى سوف تزحف إلى أوروبا ولكنها ليست بواتيه عسكرية ولكن بواتيه دينية اجتماعية حضارية فكان العالم الغربى ينظر إلى الإسلام بأنه الخطر الوحيد الذى يهدد الحضارة الغربية فى القرن القادم . وكما جاء فى مقال صموئيل هانتجتون فى مجلة Foreign Affairs التى تصدر فى جامعة هارفاد بقوله ان هناك خطأ من النار يمتد من أندونيسيا شرقا إلى المغرب غربا يهدد حضارة الغرب يجب الوقوف ضده . والقضاء عليه بأية وسيلة من الوسائل .

ومن هنا كان الواجب يحتم تنشيط الذاكرة العربية الإسلامية لكي تعود للوراء مسافة طويلة من الزمن حيث القرن الثاني الهجرى، الثامن الميلادى لنسقدم هذه الدراسة لكي تكون عبرة وعظة لما يسود الساحة الإسلامية فى أحداث وصراعات ومخاطر يسعى العالم الغربى من ورائها لتمزيق الوحدة الإسلامية التى لم تعد تجتمع الا فى أداء العبادات وفريضة الحج وتختلف فى كل شيء. ومن هنا فإنه كان لابد من التعرض لدراسة معركة بلاط الشهداء وأثارها السلبية على حركة المد الإسلامى والمسرح الدموى الذى دارت الأحداث عليه والمحاولات الصعبة المستميتة بعد تلك المعركة لدفع الراية الإسلامية والتصدى الأوروبى لحملات الفتح على مدى أربعين عاما حتى وقف المد الإسلامى فى جنوب جبال البرت وقضت على تطلع المسلمين فى المدى البعيد بالتطلع مرة أخرى إلى الأراضى الفرنسية وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثمانية فصول فى تسلسل متصل الحلقات يعتمد بنائها على القاعدة الأولى وهى الفصل الأول والذى كان عن الخلافة الأموية وغزو أوروبا وكيف ان خطة الفتح الإسلامى لأوروبا قد بدأت منذ عهد عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث ثم تحققت فى عهد معاوية بن أبى سفيان بمحاولات فتح القسطنطينية ولما حالت أسوار المدينة عن الفتح فكان الاتجاه إلى الغرب وبعد فتح المغرب كان الاتجاه شمالا لفتح الأندلس وتم الفتح ومن ثم كان الإتجاه فى التفكير إلى ماوراء جبال ألبرت حيث الأراضى الفرنسية الواسعة التى بدأ موسى بن نصير فى التحرك إليها عبورا لهذه المعابر تحقيقا لحلم فتح أوروبا وصولا إلى دمشق.

وكان الفصل الثانى عن الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس. وكيف أن الخليفة الوليد بن عبدالمك بن مروان (٨٦ - ٩٦هـ) وكان مترددا قد شعر بخطورة فكره موسى بن نصير فى غزو أوروبا فخاف على الجند الإسلامى فكان إستدعاء موسى إلى دمشق لدراسة الموقف معه لكن الأجل لم يمتد فى عمره وأكث الخلافة إلى أخيه سليمان بن عبدالمك الذى لم يبدى اهتماما كبيرا بالفتوحات الإسلامية فى الغرب ومن هنا لم تأخذ الحركة الإمتدادية بعدها المرسوم لها وكان استدعاء موسى عامل ضعف فى حركة الإندفاع الإسلامى عبر

سهول فرنسا وكان الفصل الثالث عن الفتوحات الإسلامية في فرنسا قبل بلاط الشهداء وفيه تحديث عن معركة تأمين الحدود الشمالية للأندلس كان يقتضى الإندفاع في سهول فرنسا الجنوبية وكيف قام العديد من الولاة الذين تولوا حكم الأندلس بأعمال عسكرية من شأنها تثبيت الوجود الإسلامى خلف جبال البرت وكيف قام العديد من الولاة أمثال السمع بن مالك الخولانى وعنسه بن سحيم الكلبي بدور بارز وفعال فى حركة الفتح وكيف وصل عنسة فى حركة تقدمة وصولا إلى بلده سانس Sens على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب العاصمة باريس الحالية وكيف أن المسلمين فقدوا السمع وعنسه شهيدين فى أراضي فرنسا وكيف أنهما مهذا الطريق لمن يأتى بعدهما كى يعمل على تدعيم الوجود الإسلامى وتثبيت قواعده فى هذه المناطق وجاء بعد الفصل الثالث الفصل الرابع الذى كان موضوعه مقدمات معركة بلاط الشهداء وماهى الظروف السياسية على الجبهة الأندلسية والمقابل لها على الجبهة الأوروبية وكيف كان وصول المد الإسلامى الإندفاعى إلى قرب باريس تحركا لأوروبا لكى تحشد جيوشها خلف قيادة (شارل) الذى قضى على المعوقات فى فرنسا ووجد الجبهة استعدادا لملاقاة المسلمين وكيف كان الوالى المسلم الشهيد عبدالرحمن الغافقى الذى قاتل أكثر من مرة فى الجبهة الفرنسية يعد العدة للوصول بالراية الإسلامية إلى باريس لكى يتحقق بناء الدولة الإسلامية الثانية فى أوروبا بعد الأندلس وماسيكون عليه الحال بين القوتين المتصارعتين خلف وجبال البرت (المسلمون والفرنجة) .

ثم كان الفصل الخامس: عن دور عبدالرحمن الغافقى ومعركة بلاط الشهداء والتحرك ورسم خطة الفتح على أساس الاستقرار وادخال البلاد فى حوزة الإسلام وليس الهجوم الخاطف والعودة دون استقرار كما حدث فى السابق فى عهد السمع وعنسة. وكيف استولى الغافقى على العديد من المدن التى تساقطت بسرعة مذهلة أمامه وكيف وصلت قواته حتى مدينة تور Tours حتى أن المصادر الأوروبية نفسها تذكر أن الغافقى قد استولى على مدينة بواتيه Poitiers التى دارت أحداث المعركة بالقرب منها وكيف أن المسلمين استولوا على مدينة تور شمال

بواتيه بأربعين كيلو متر وكان الوصول إلى «تور» هو أقصى امتداد منظم للتوسع الإسلامي . وكيف كان على الجانب الآخر شارل مارتل يضع أوروبا أمام مسئولياتها التاريخية التي تقف خلفها البابويه في روما تدفعها لصد الهجوم (البابا جريجورى الثالث)والتي لم تقتصر على الفرنجة وحدهم بل تعدتهم إلى شعوب الشمال وكانت الحشود تزيد عن أربعمائة ألف جندي وكان أن تراجع الغافقى إلى سهول بواتيه لإتخاذ مواقعه بها بعد أن وصلته معلومات عن كثافة الحشد الأوربي ، لكن تحركات شارل كانت سريعة وما لبث شارل أن دفع قوات المسلمين جنوبا ليدرك مقدمة الجيش الإسلامي .

ودارت أحداث المعركة التي دامت عشرة أيام كان الإنتصار فى الأيام الأولى للجيش الإسلامى لكن إلتفاف الجيش الأوروبى من الخلف والوصول إلى القلب حيث استشهد القائد عبدالرحمن الغافقى .

فما كان من كبار القواد وهيئة المستشارين إلا رسم خطة الإنسحاب المنظم الذي تم ليلا ورحلت القوات الإسلامية إلى قواعدها فى الأندلس بعد أن فقدت الكثير من أفرادها الشهداء .

وكان الفصل السادس عن أحداث بلاط الشهداء وماهى العوامل التي أدت الي تحقيق الأوروبيين لهذا النصر وأسباب الانسحاب والظروف التي حتمت على المسلمين ضرورة الانسحاب وكيف اكتفى شارل وقواته بما حققوه من النجاح فى وقف التقدم الإسلامى وعدم التحرك خلف القوات المنسحبة إلى الأندلس وكيف تغنى المؤرخين الغربيين بهذا النجاح فى حين أن وقوف المد الإسلامى عند هذا الحد قد أخر تقدم الحضارة الأوروبية عدة قرون (القرن الثامن) والنهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر .

وجاء بعده الفصل السابع وكان عن الفتوحات الإسلامية فى فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء وفيه تحدثت عن مواصلة الولاة الذين حكموا الأندلس بعد استشهاد الغافقى ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) وكيف أن هؤلاء الولاة عملوا من جانبهم على

المحافظة على الأراضى الواقعة جنوب فرنسا حفاظا على الوجود الإسلامى ومن ثم اهتم هؤلاء الولاة ببناء المعاقل والحصون وحشد القلاع بالسلاح، لكن بعض الولاة بل القواد المحليين قاموا بالفتح وتوسيع نطاق وحداتهم المحلية مثل القائد يوسف الفهرى الذى تحرك وسيطر على اقليم بروفانس وواصل تقدمه حتى نهر الديورامي والحفاظ على ماحققوه من مكتسبات فى الأراضى الفرنسية ولقد كان آخر الولاة الذين كان لهم دور بارز فى الفتح هو عقبة بن الحجاج السلولى الذى ثبت الكيان الإسلامى فى هذه المناطق المفتوحة وشهد الطموحات لاستعادة ما فقدته المسلمون فى فرنسا من جراء معركة بلاط الشهداء ولقد ظل يفتح طوال أربع سنوات حتى كاد أن يصل إلى مكان معركة بلاط الشهداء. لكن وفاة واستشهاد عقبة أنهى مرحلة التوسع بعد أن فشلت الجهود فى تحقيق التوسع النهائى بضم فرنسا وتكوين دولة اسلامية تجاور الأندلس وتكون امتداد بعد ذلك إلى دولا أوروبية أخرى.

ثم كانت الخلافات العصبية بين العرب أنفسهم وبين العرب والبربر عاملا قويا فى سحب قوة الدفع العسكرية التى وصلت إلى أربعين ألف جندى للدخول فى الصراع الدائر بين القيسية والسيائية فأدى ذلك إلى خلل عسكري ساعد على تقدم أبناء مناطق شمال البرت للاستيلاء على كل الأماكن التى سحب منها الجند الإسلامى وبذلك تشجع هؤلاء على الانقضاض على مدينة أربونه عام ١٤٢هـ/٧٥٩ م لتسقط بقايا الأمل فى العودة إلى فرنسا مرة أخرى واكتفى المسلمون بالتوقف جنوب جبال البرت وعدم التطلع للشمال نحو فرنسا وكان الفصل الثامن هو نهاية المطاف فى البحث بعنوان لن تكون بلاط شهداء أخرى فى القرن الحادى والعشرين. ولماذا يتخوف العالم الغربى (أوروبا والولايات المتحدة) من خطر الإسلام والعالم الإسلامى يعيش ممزقا إلى وحدات اقلية قومية وتحت ظروف تخلف علمى واقتصادى ليس بقادر على الانتقال إلى أوروبا كقوة عسكرية أو اجتماعية أو سياسية للسيطرة على أوروبا مرة أخرى بعد ثلاثة عشر قرن. لكن الخوف من محاولة أبناء الغرب معرفة حقيقة الإسلام والقرآن الكريم فهذا الموضوع لا دخل للعالم الإسلامى فيه انما هى رغبة الأوربيين والأمريكان فى معرفة جوهر الإسلام وحقيقة القرآن.

ثم جاء بعد ذلك خاتمة البحث التي توصلت فيها إلى خلاصة هذه الخطة العلمية
ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي عولت عليها كثيرا حتى
كانت هذه الدراسة بهذه الصورة.

ونهاية أسأل الله أن تكون هذه الدراسة تنشيطا للذاكرة العربية والإسلامية لكي
تتدارك السلبيات وضولا إلى تحقيق الإيجابيات يوضح صورة بلاط الشهداء بقدر
ما أتيت لى بين يدي القراء لتبصرة الأجيال الحاضرة والقادمة على طريق الإسلام.

والله ولى التوفيق

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمي

الملك فيصل / غرة جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٥ نوفمبر «تشرين ثانى» ١٩٩٤م